السندباد في رحلته الثامنة

« عاد السندباد من رحلته الاخيرة السابعة ، وفي النفس غصص الشوق ، الى ثامنة ، يكون بها الخلاص من عتمة « الرواق » القديم . فينطلق في غيبوبة بيضاء يبني داره ، في بلد الصحو البريء ، الغض . ويخف ، في اغترابه ، الى حيث تتكشف له ارحام الفصول ، وتتبلج رؤى الحق الخالص يزفها الشاعر كما تـــزف البشائـــر .

في هذه النزهة الحرى ، تتفتح الصور ، وتتياقظ ، على نمو تواردها في البال . لا يعنيك فيها من تسلسل المنطق المألوف غير تتابع متكامل في الرموز . فلا تطلب من اللفظ قدره من مثقال الطرب . ثم انت في منـــاخ لا يضمه حيز ، على غرار فصل من جحيم « رامبو » ، متباين العناصر ، في وحدة ، تستحيل فيه الخواطـــر المجردة اجساما ملونة متحركة . ولا تتخذ هذه الاجسام اشكالا نهائية ، وانما تظل في حال تكوين ابدي ، كمـــثل تعطش الشاعر في تطوافه الى اقتطاف الخاطرة الهبائية التي لا تتجمد في قالب . غير ان في باطن القصيـــد قرارا يعود ، كلما عاوده الدوار ، وينقطع في تفاعيل غير متساوية ، كلما هب به الشوق الى لقايا جديدة . واي خير ان تدور بك الرؤى ، بدل ان تدور الانغام ، ونهاية المطاف في حاصل الحال الفنية واحدة ؟ »

انطوان كرم

— ١ —

داري التي أبحرتِ غربتِ
معي ، وكنت خيرَ دارْ
في دوخة البحـــارْ
في غربتي
وغرفتي
ينمو على عتبتها الغبارْ ،
في مدن تحجّر الليل باعصابي
فأمضي ، ارتمي والليلَ في القطار
.....

رحلاتي السبع وما كنّزته
من نعمة الرحمان والتجاره
يوم صرعت الغول والشيطان ،
.. دفني ، ثم ذاك الشق في المغاره
رويت ما يروون عني عادةً
كتمتُ ما تعيا له العباره
ولم ازل أمضي وامضي خلفه
أحسه عندي ولا اعيه
وكيف انساقُ وادري أنني
انساق خلف العري والخساره
همي بأن افرغ داري عله
ان مر تغويه وتدعيه
احسه عندي ولا اعيهِ
.....

— ٢ —

وكان في الدار رواقٌ
رصّعت جدرانه الرسومْ :
موسى يرى ازميل نارٍ صاعق الشرر
يحفر في الصخر وصايا ربه العشر
الزفت والكبريتُ والملح على سدوم ،
هذا على جدارْ
على جدار اخرٍ اطار :
وكاهن في هيكل البعل
يربي افعوانا فاجرا وبومْ
يفتضّ سر الخصب في العذارى
يهلل السكارى
وتخصب الارحام والكرومْ
تفوّر الخمر في الجرار
على جدار اخرٍ اطارْ :
هذا المعري !
خلف عينيه وفي دهليزه السحيق
دنياه كيد امرأةٍ لم تغتسلْ
من دمها ، يشتمّ ساقيها وما يطيق
شطي خليج الدنس المطلي بالرحيق
تكويرةُ النهدين من رغوتهِ
وسوسن الجباه ،
المجرم العتيـــق
والثمر المرّ الذي اشتهاهْ .
.....

من هذه الرسوم
يرشح سيلٌ مثقل بالغاز والسموم
تمتصه الحية في الانثى
وما في دمها من عنصر الغجَر
والنمر الاعمى وحمّى يدهِ
في غيرة الذكر .
«لوركا» « عرس الدم» في اسبانيا
وسيف ديك الجن في حماه ،
العنق العاجي نهرٌ احمر
يا هول ما جمّدته الموت على الشفاه .
هذا الدم المحتقن الملغوم في العروق
تعضه ، تكويه الف حرقه
وفي حنايا درجٍ
في عتمة الازقـــه
حشرجة مخنوقةٌ وشهقه
....
مدينة في مسرح الافيون تستفيق
على صدى الزلزال في احشائها
سور من النيرانِ
يعمي الليلِ والطريقْ
العالم السفلي ينشق ومن احشائه
ينبع غول يضرب الاحياءَ
باللعنات والحريق .
هذا الدم المحتقن الملغوم في العروق

— ٣ —

بلوت ذاك الرواق
طفلا جرت في دمه الغازات والسموم
وانطبعت في صدره الرسوم
وكنت فيه والصحاب العتاق
نرفه اللوم ، نحلي طعمه بالنفاق
بجرعة من « عسل الخليفه »
« وقهوة البشير »
اغلّف الشفاه بالحرير
بطانة الخناجر الرهيفه
لحاوتي لحية الحرير .

.....

سلخت ذاك الرواق
خليته مأوى عتيقا للصحاب العتاق،
طهّرت داري من صدى اشباحهم
في الليل والنهـار
من غلّ نفسي ، خنجري ،
ليني ، ولين الحية الرشيقه ،
عشت على انتظار
لعله ان مر اغويه ، فما مرّ
وما أرسل صوبي رعده ، بروقه .
طلبت صحو الصبح والامطار ،ربي ،
فلماذا اعتكرت داري
لماذا احتنقت بالصمت والغبار
صحراء كلس مالح بوار ،
وبعد طعم الكلس والبوار
ألعتمة العتمة فارت من
دهاليزي ، وكانت رطبة
منتنة سجينه
كأن في داري التقت
وانسكبت اقنية الاوساخ في المدينه
تفور في الليل وفي النهار
يعود طعم الكلس والبوار
وذات ليل ارغت العتمة
واجترت ضلوع السقف والجدار
كيف انطوى السقف انطوى الجـدار
كالخرقة المبتلة العتيقه
وكالشراع المرتمي
على بحار العتمه السحيقه
حف الرياح السود يحفيه
وموج اسود يعلكه ، يرميه للرياح ،
اغلقت الغيبوبة البيضاء عينيّ
تركت الجسد المطحون
والمعجون بالجراح
للموج والرياح .

.....

— ٤ —

في شاطىء من جزر الصقيع
كنت ارى فيما يرى المبنج الصريع
صحراء كلس مالح ، بوار
تموج بالثلج ، وبالزهر وبالثمار
داري التي تحطمت
تنهض من انقاضها ، تختلج الاخشاب
تلتم وتحيا قبة خضراء في الربيع.

....

لن أدعي أن ملاك الرب
القى خمرة بكراً وجمراً اخضرا
في جسدي المغلول بالصقيع
صفّى عروقي من دم
محتقن بالغاز والسموم
عن لوح صدري مسح الدمغات والرسوم
صحو عميق موجه أرجوحة النجوم.
لن ادعي ، ولست ادري كيف ،
لا ، لعلها الجراح
لعله البحر وحفّ الموج والرياح
لعلها الغيبوبة البيضاء والصقيع
شدّا عروقي لعروق الارض
كان الكفن الابيض درعا
تحته يختمر الربيع ،
اعشب قلبي، نبض الزنبق فيه،
والشراع الغض والجناح
عريان وما يخجلني الصباح ،
النبضة الاولى ،
ورؤيا ما اهتدت للفظ
غصت ، ابرقت وارتعشت دموع
هل دعوة للحب هـذا الصوت
والطيف الذي يلمع في الشمس
تجسّد واغترف من جسدي
خبزا وملحا ، خمرة ونار
وحدي على انتظار
افرغت داري مرة ثانية
أحيا على جمر طري طيب وجوع
كأن اعضائي طيور عبرت بحار
وحدي على انتظار

— ٥ —

في ساحة المدينـه
كانت خطاها زورقا يجيء بالهزيج
من مرح الامواج في الخليج
كانت خطاها تكسر الشمس
على البلور ، تسقيه الظلال
الخضر والسكينه ،
لم يرها غيري ترى في ساحة المدينه؟
لم ترها عين من العيون .
العمر لن يقول
يا ليت من سنين
ملء يدي وساعدي
أطيب ما تزهو به الفصول
في الكرم والينبوع والحقول
العمر لن يقـول
يا ليت من سنـين .

.....

— ٦ —

داري تعاني آخرَ انتظار ،
وقع الخطى الجريئه
تفتق المرجان المرج
بارض الدار والجدار
مرآة داري أغتسلي
من همك المعقود والغبار
واحتفلي بالحلوة البريئه
كأنها في الصبح شقّت من ضلوعي
نبتت من زنبق البحار
ما عكر الشلال في ضحكتها
والخمر في جملتها
رعب من الخطيئـــه
وما درت كيف تروغ الحيّة
الملساء في الاقبية الوطيئـه
احتفلي بالحلوة البريئـه
بالصحو في العينين ،
ما صحو الشعاع الغض
عبر النبع والثلوج ،
بالصدر والخصر ،
ترى ما تربة المسك طريا دافئا
ما بيـدر الحنطة والمروج
ما سمرة الصيف على الثمار
ما نكهـة البهار
ما كل ما رويت
خليت للغير كنوز الارض
يكفيني شبعت اليوم وارتويت
الحلوة البريـئه
تعطي وتدري كلما أعطت
تفور الخمر في الجرار
بريئـــة جريئه
جريئة بريئـه
في شفتيها تزبد الخمر
وتصفو الخمر في القرار
لن يتخلى الصبح عنا آخر النهار

....

— ٧ —

وليل امس كان ليل الجن
والزوبعة السوداء في الغابات والدروب
مال الينا الزنبق العريان
ادفأناه باللمس وزودناه بالطيوب
اوت الينا الطير من اعشاشها المخربه
رحنا مع القافلة المغربه
في ارخبيل « الجزر الحيتان »
حولنا استرحنا والتحفنا الغيوب
غريبة ومثلها غريب
حيث نزلنا ارتفعت
دار لنا ودار
خف الينا الف جار متعب وجار
في دوخة البحار
وغربة الديار

.....

— ٨ —

ولم أزل أمضي وأمضي خلفه
احسه عندي ولا اعيه
همي بان افرغ داري عله
ان مر تغويه وتدعيه
احسه عندي ولا اعيه

.....

تمضي الى غرفتها تعثر في وحشتي وحدي ،
مدى عتمتي
مدى ليالي السهاد
دقات قلبي مثل دلف اسود
تحفر الصمت ، تزيد السواد
وكان ما عاينت مما ليس يروى عادة او يعاد :
بئر جفاف فورت ،
وفورت من عتمتي مناره
أعاين الرؤيا التي تصرعني حينا فأبكي ، كيف لا أقوى على البشاره ؟
شهران ، طال الصمت ،
جفت شفتي ،
متى متى تسعفني العباره ؟
وطالما ثرت ، جلدت الغول والاذناب في أرضي ،
بصقت السم والسباب
فكانت الالفاظ تجري من فمي شلال قطعان من الذئاب
واليوم ، والرؤيا تغني في دمي
برعشة البرق وصحو الصباح
بفطرة الطير التي تشتم
ما في نية الغابات والرياح
تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول
تفور الرؤيا ، وماذا ،
سوف تأتي ساعة ،
أقول ما أقول :

— ٩ —

تحتل عيني مروج ، مدخنات
واله بعضه بعل خصيب ،
بعضه جبار فحم ونار ،
مليون دار مثل داري
ودار
تزهو باطفال غصون الكرم
والزيتون ، جمر الربيع
غب ليالي الصقيع
يحتل عيني رواق شمخت
أضلاعه وانعقدت عقد
زنود تبتنيه ، تبتني الملحمه
ومن غنى تربتنا تستنبت
البلور والرخام
تكدس البلور من رؤيا عيون
ضوأت واحترقت في حلك الظلام
وفرخت اعمدة الرخام
من طينة الاقبية المعتمه
تلك التي مصت سيول الدمع ،
مصت ربوات من طحين اللحم والعظام
واختمرت لالف عام اسود وعام
فكيف لا يفرخ منها ناصع الرخام
اعمدة تنمو ويعلوها رواق اخضر
صلب بوجه الريح والثلوج
المحور الهادىء والبرج الذي يصمد في دوامة تبتلع البروج

....

رؤيا يقين العين واللمس
وليست خبرا يحدو به الرواة

.....

ما كان لي ان احتفي
بالشمس لو لم اركم تغتسلون
الصبح في النيل وفي الاردن والفرات
من دمغة الخطيئه
وكل جسم ربوة تجوهرت في الشمس ،
ظل طيب ، بحيرة بريئه .
اما التماسيح مضوا عن ارضنا
وفار فيهم بحرنا وغار ،
وخلفوا بعض بقايا سلخت
جلودهم ، ما نبتت مطرحها جلود
حاضرهم في عفن الامس الذي
ولى ولن يعود
اسماؤهم تحرقها الرؤيا بعيني
دخانا ما لها وجود .
ربي لماذا شاع في الرؤيا
دخان احمر ونار ؟
احببت لو كانت يدي سيلا ،
ثاوجا تمسح الذنوب
من عفن الامس تنمي الكرم والطيوب
تضيع في بحري التماسيح وحقد الانهر الموحله
وينبع البلسم من جرح
على الجاجله .
احببت . لا . ما زال حبي مطرا
يسخو على الاخضر في ارضي ،
عداه حطب وقود
تحرقها الرؤيا بعيني دخانا
ما لها وجود ،
وسوف يأتي زمن احتضن
الارض وأجلو صدرها
وأمسح الحدود .

.....

— ١٠ —

رحلاتي السبع روايات عن
الغول ، عن الشيطان والمغاره
عن حيل تعيا لها المهاره ،
أعيد ما تحكي وماذا عبثا ،
هيهات استعيد ،
ضيعت رأس المال والتجاره
ماذا حكى الشلال
للبئر وللسدود
لريشة تجود التمويه تخفي
الشح في أقنية العباره ؟
ضيعت رأس المال والتجاره ،
عدت اليكم شاعرا في فمه بشاره
يقول ما يقول
بفطرة تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول

خليل حاوي